المتصوفة أم طمحة اللمتونية

م.م. زينب عباس سعيد

zainabsaeed@uomustansiriyah.edu.iq

جامعة المستنصرية، كلية الآداب ، قسم التاريخ

الملخص

تعد تميمة بنت يوسف بن تاشفين، اميرة مرابطية وشاعرة مبدعة ورمزا نسويا مشرقا في تاريخ الدولة المرابطية، نشأت في كنف دولة قوية، وتلقت تعليما رفيعا مكنها من الارتقاء بنفسها ثقافيا وفكريا، فهي من الشخصيات النسوية البارزة التي تحتاج وقفة من دارس التاريخ .

احتلت المرأة مكانة رفيعة في المجتمع المغربي في عهد المرابطين، فقد كانت أكثر ظهوراً في مجال الحياة العامة، وأعظم نفوذاً وأكثر حرية ، حيث كانت المرأة المرابطية تتمتع بقسط من الحرية، وأدى ذلك إلى ظهور ظاهرة اجتماعية لم تكن مألوفة في المغرب من قبل، وهي ظهورها في المجتمع ومشاركتها في الحياة العامة فبرزت نساء شاعرات واديبات وراويات للحديث وحافظات للقرآن، اولهن ام طلحة اللمتونية (تميمة) ابنة أعظم ملوك المغرب، يوسف بن تاشفين .

الكلمات الرئيسية: الفقيه ، القاضي ، الاندلس ، اللمتونية ، المتصوفة

ABSTRACT

Tamima bint Youssef bin Tashfin is an Almoravid princess, a creative poet, and a shining feminist symbol in the history of the Almoravid state. She grew up in the bosom of a powerful state and dvance herself culturally and intellectually. Sheis level education that enabled her to a-received a high ures that requires a pause from the .student of histor one of the prominent female

aihtalat almar'at makanatan rafieatan fi almujtamae almaghribii fi eahd almurabitina, faqad kanat 'akthar zhwraan fi majal alhayat aleamati, wa'aezam nfwdhaan wa'akthar huriyatan , hayth kanat almar'at almarabitiat tatamatae biqist min alhuriyati, wa'adaa dhalik 'iilaa zuhur zahirat aijtimaeiat lam takun malufatan fi almaghrib min qibalu, wahi zuhuruha fi almujtamae wamusharakatiha fi alhayaat aleamat fabarazat nisa' shaeirat wadibat warawiat lilhadith wahafizat lilqurani, awlahuna am talhat allamtunia (tamimatan) aibnat 'aezam muluk almaghrbi, yusif bn tashfin .

Keywords: alfaqih , alqadi , aliandlas , allimtuniat , almutasawifa

1. مقدمه

حتلت المرأة مكانة رفيعة في المجتمع المغربي في عهد المرابطين، فقد كانت أكثر ظهوراً في مجال الحياة العامة، وأعظم نفوذاً وأكثر حرية (حسين، حمدي التاريخ السياسي والحضاري في المغرب والأندلس، حيث كانت المرأة المرابطية تتمتع بقط من الحرية، وأدى ذلك إلى ظهور ظاهرة اجتماعية لم تكن مألوفة في المغرب من قبل، وهي ظهورها في المجتمع ومشاركتها في الحياة العامة .

أولا: انتشار التصوف خلال عصر المرابطين

ارجع ابن خلدون (خلدون، 1996م، صفحة 27) ظهور التصوف الى الحالة التي تسود المجتمعات الإسلامية من الاقبال على الدنيا والانغماس في ملذاتها مما اوجب بروز تيار معاكس لهذه الحالة تتمثل في العكوف على العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الناس من مال وجاه ولذة, والانفراد عن الخلق في خلوة للعبادة. وعرف أصحاب هذا الاتجاه بالصوفية او المتصوفة.

رغم سياسة التشدد المذهبي التي طبعت الحياة الثقافية في دولة المرابطين فان ذلك لم يمنع من ظهور عدد من الأشخاص الذين اشتهروا بحملهم للفكر الصوفي الذي تسرب من المشرق الإسلامي حيث يرجع انتشار التصوف خلال القرنين (الخامس والسادس الهجريين) في العهد المرابطي الى دخول كتب الغزالي خاصة كتاب الاحياء الذي لقي رواجا لدى العديد من العلماء في هذا العهد,

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.766

لما يحمله من ابعاد صوفية, كما تعد رحلة المغاربة نحو المشرق عاملا مهما في انتقال التصوف الى المغرب الإسلامي وخلال تلك الرحلة كانوا يلتقون بكبار المتصوفة المشارقة فيتأثرون بطرقهم الداعية الى الزهد ثم عند عودتهم الى بلادهم يقومون بنشر طريقتهم وعلومهم (مشراوي، 2020م، صفحة 845) .

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار التصوف في أواخر دولة المرابطين تفشي الكثير من الآفات الاجتماعية مثل اللصوصية وشرب الخمر والزنا وغيرها ويقول المراكشي (المازني، 1963م، صفحة 241) في ذلك: " واختلت حال امير المسلمين... وظهرت في بلاده مناكير كثيرة وذلك لاستيلاء اكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد واستولى النساء على الأحوال وانسدت اليهن الأمور وصارت كل امرأة من اكابر لمتونة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمور ومخمور". مما دفع الكثير من الناس الى تفضيل حياة العزلة والابتعاد عن حياة اللهو والترف وفضلوا الالتفاف حول زعماء المتصوفة ونهج طريقتهم.

ثانياً: سيرتها وصفاتها

احتلت المرأة مكانة رفيعة في المجتمع المغربي في عهد المرابطين، فقد كانت أكثر ظهوراً في مجال الحياة العامة، وأعظم نفوذاً وأكثر حرية (حسين، د.ت، صفحة 131) ، حيث كانت المرأة المرابطية تتمتع بقسط من الحرية، وأدى ذلك إلى ظهور ظاهرة اجتماعية لم تكن مألوفة في المغرب من قبل، وهي ظهورها في المجتمع ومشاركتها في الحياة العامة (زنيبر، 1999م، صفحة 85) .

فبرزت نساء شاعرات واديبات وراويات للحديث وحافظات للقرآن، اولهن ام طلحة اللمتونية (تميمة) ابنة أعظم ملوك المغرب، يوسف بن تاشفين (الابار، 1995، صفحة ج255/4) بن إبراهيم بن ترقوة بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن امية بن واتملى بن تامليت الحمير (ابن القاضي، 1973م، صفحة 545) الصنهاجي اللمتوني والأخت الشقيقة لعلي بن يوسف، ولي العهد الذي أصبح ملكا من بعد أبيه، تكنى أم طَلْحَة (الابار، 1995، صفحة ج255/4) كانت ام طلحة (تميمة) ابنة يوسف من زوجته الرومية، والدتها كانت مسيحية أسلمت بعد زواجها بالسلطان يوسف بن تاشفين، وكانت تسمى لجمالها الفائق فاض الحسن و منو، ولكن أكثر اسم عرفت به هو قمر الرومية (العزام، د.ت، صفحة 63) .

احتفظ التاريخ في طياته بأخبار تمدح في صفاتها، وجميعها تصف الأميرة تميمة بكاملة الحسن وراجحة العقل، المشهورة بالأدب والكرم، وكانت تنظم الشعر بشكل جيد، لكن التاريخ لم يحفظ ما جادت به قريحتها إلا من أبيات قليلة (الابار، 1995، صفحة ج4/ 255) ؛ (ابن القاضي، 1973م، صفحة 176) ، مما سبق يتضح انها كانت على درجة من العلم فرجاحة عقلها ونظمها للشعر يدل على ذلك.

سكنت ام طلحة اللمتونية مدينة فاس (الابار، 1995، صفحة ج4/ 255) ؛ (ابن القاضي، 1973م، صفحة 176) ، وتربت أم طلحة اللمتونية، كما كانت تكنى، في كنف دولة لم يكن فيها رجال الدولة وأمراؤها يرون غضاضة في تنشئة بناتهم على دراسة الأدب رغم ما عرف عنهم من تشدد في الدين, وقد سمت بها تنشئتها إلى مقام شهيرات عصرها في الأدب والكرم، وكانت شغوفة بالأدب والشعر، مما خول لها المشاركة، إلى جانب الكثيرات من نساء الدولة المرابطية، في الحركة الفكرية بنصيب وافر من العلم والأدب ولم تثنها هذه القيم الجمالية والفكرية عن الاهتمام بثروتها المادية والإشراف عليها من أجل تنميتها (الابار، 1995، صفحة ج4/ 255) ؛ (بنعبد الله، 1963م، صفحة ج2/ 16) .

وبفضل المناخ الملائم الذي وفره المرابطين عن قصد او غير قصد للمرأة التي تندمج في منظومة التصوف وطرقه وطقوسه فعلى المستوى الشرعي صارت المرأة في العهد المرابطي لا تستثنى من ميراث والدها (المازني، 1963م، صفحة رقم 1335ورقة 240) ؛ (بونابي، د. ت، صفحة 145)، فنجد الأميرة ام طلحة (تميمة) ورثت عن والدها يوسف بن تاشفين ثروة كبيرة ويقال إنهم وجدوا في بيت المال بعد وفاته، ثلاثة عشر ألف ربع من الورق، وخمسة آلاف وأربعين ربعا من دنانير الذهب المطبوعة، عملت على تنميتها وتطويرها, زاد ام طلحة (تميمة) ثراء ما حظيت به من امتيازات في فترة حكم أخيها عليا ابن قمر الرومية، فتوسعت في جمع الثروة، شأنها شأن باقي المحظوظين من أمراء وشيوخ صنهاجة، ممن استأنسوا برقة الحضارة، خلافا لما كان عليه الدعاة الأولون الذين اشتهروا بالتقشف في حياتهم (دندش، 1988م، الصفحات 315-316) .

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.

تبقى رجاحة العقل، وحسن تدبير الثروات، من أهم الخصال التي ميزت ام طلحة (تميمة) بنت يوسف بن تاشفين، عن باقي المحظوظين من أبناء وبنات جلدتها، الذين تباهوا بحياة البذخ والترف، فقد أتقنت ام طلحة (تميمة) لغة وفن تدبير الثروات، فغدت برجاحة عقلها وحسن تدبيرها لثروتها من أثرياء قومها، مقدمة بذلك نموذجا عن المرأة المغربية المدبرة والمسيرة للثروات في عصرها.

وصفت ام طلحة (تميمة) بالكرم (الابار، 1995، صفحة ج4/ 255) ؛ (ابن القاضي، 1973م، صفحة 175)، وهي من الصفات التي تدل على كثرة التصدق في سبيل اعانة المحتاجين والفقراء وذوي الحاجة. وزادها رفعة ومكانة انتمائها الى قبيلة لمتونه التي آلت السيادة اليها في هذه الحقبة المدروسة.

وكانت تتخذ الموكلين والكتاب، وتظهر إليهم في غير ما حياء أو خجل، وتحاسبهم دون أن تجد غرابة في ذلك (الابار، 1995، صفحة ج4/ 255) ؛ (ابن القاضي، 1973م، الصفحات 175-176) ؛ (دندش، 1988م، صفحة 316) .

ويذكر ابن الاثير (الاثير، 1415هـ، صفحة ج9/ 196) ان ابن تومرت كان في طريقه بمراكش يوما "إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههم ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين علي بن يوسف"، فيشير هذا الى شدة ردة فعل ابن تومرت ورفاقه دون مراعاة للمكانة الاجتماعية او السياسة, كما يبين سعي ابن تومرت الى محاربة ما اعتبره مظاهر الفساد والانحلال ومن بينها كشف النساء لوجوههن.

ثالثا: نظمها الشعر

كانت تميمة مشهورة بالأدب، لكن لا توجد اثار مادية تحيل على ذلك ما عدى بعض الشذرات بترجمتها منها ما قالته لكاتبها لما دخل عليها وهي سافرة، فبهت، فلما نظرت إليه عرفت ما دهاه، ففطنت لما اعتراه، فأومأت إليه وأنشدت قائلة:

هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعودا ولن تستطيع اليك النزولا

فكانت ام طلحة اللمتونية تحفظ الشعر، وتجيده (الابار، 1995، صفحة ج4/ 255) ؛ (ابن القاضي، 1973م، الصفحات ص175-176).

رابعا: وفاتها

لم يعرف تاريخ وفاة الأميرة تميمة ولم يحفظ لها التاريخ إلا بالقليل من أخبارها وبأبيات قليلة من شعرها، التي ضاعت كما تذكر مصادر معتمدة، لكنها تذكر ولو بتلك الأخبار المتناثرة هنا وهناك أنها من ضمن نساء الدولة المرابطية، الأديبات المشهورات بالأدب والكرم والرقة ورمزا شامخا يظهر وضعية المرأة في العهد المرابطي (كنون، 1975م، صفحة ج2/ 577) .

وعلى الارجح ان وفاة ام طلحة اللمتونية التي كانت معاصرة لشقيقها علي بن يوسف بن تاشفين المتوفي سنة (537هـ/ 1142م)، كانت في القرن السادس الهجري.

النتائج

1-تمتعت تميمة بقسط واضح من الحرية والواقع ان الظاهرة النسائية ظهرت بشكل بارز في أواسط الخاصة, والمشاركة في قضايا المجتمع ولها من الحرية في الحضور في الأماكن العامة وفي لباس ما يكشف عن زينتها.

2- تمكنت ام طلحة (تميمة) بنت يوسف كونها من العائلات الميسورة وبفضل امكانياتها المادية والحرية التي منحت لها من القيام بأدوار متعددة في الحياة العامة.

3- تغييب أصحاب كتب الطبقات والتراجم للمساهمة النسائية في شتى الميادين وهذا ما لاحظناه في دراستنا هذه تتمثل في قلة ما ورد عن ام طلحة (تميمة) من اخبار لا تفي بالغرض. كذلك لم نعثر على أي نص من المصادر المتوفرة بين أيدينا يؤكد بشكل او باخر تصوف ام طلحة اللمتونية (تميمة).

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.

المصادر

إبراهيم وفطيمة مطهري مشراوي. (2020م). *أوضاع المتصوفة في العهد المرابطي والموحدي , مجلة الاحياء, جامعة أبو بكر, كلية العلوم الإنسانية, مج21, العدد28 (تلمسان).*

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت : 630هـ) بن الاثير. (1415هـ). *الكامل في التاريخ, تحقيق, عبد الله القاضي, دار الكتب العلمية (بيروت).*

احمد المكناسي (ت : 1025هـ) ابن القاضي. (1973م). *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس, د. ط, دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط:).*

الطاهر بونابي. (د. ت). *ظاهرة التصوف النسائي في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط, مجلة قسم التاريخ, جامعة المسلية, (الجزائر).*

حمدي حسين. (د.ت). *التاريخ السياسي والحضاري, في المغرب والاندلس.*

عبد الرحمن بن محمد بن محمد الاشبلي (ت : 808هـ) ابن خلدون. (1996م). *شفاء السائل وتهذيب المسائل, تحقيق, محمد مطيع الحافظ, دار الفكر المعاصر ،بيروت.*

عبد العزيز بنعبد الله. (1963م). *معطيات الحضارة المغربية, ط3, دار الكتب العربية (الرباط).*

عصمت عبد اللطيف دندش. (1988م). *الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني, ط1, دار الغرب الإسلامي (بيروت).*

كنون. (1975م). *النبوغ المغربي في الادب العربي, ط3, دار الكتاب اللبناني (بيروت).*

محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت: 658 هـ) ابن الابار. (1995). *التكملة لكتاب الصلة, تحقيق, عبد السلام الهراس, د. ط, دار الفكر (لبنان .*

محمد زنيبر. (1999م). *المغرب في العصر الوسيط, منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية (الرباط).*

هيثم احمد العزام. (د.ت). *المرأة في الخطاب الادبي الإعلامي والثقافي, ط1, دار الكتاب الثقافي .*

يحيى بن عمران بن عيسى المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي (ت : 647هـ) المازني. (1963م). *المعجب في تلخيص اخبار المغرب, تحقيق, محمد سعيد العريان, د. مط (القاهرة :).*

References

Abd al-Aziz Bin Abdullah. (1963). *Data of Moroccan Civilization*, 3rd edition, Dar al-Kutub al-‘Arabiyyah (Rabat).

Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Muhammad al-Ashbili (d. 808 AH). Ibn Khaldun. (1996). *Shifa’ al-Sa’il wa Tahdhīb al-Masā’il*, edited by Muhammad Mut’i al-Hafiz, Dar al-Fikr al-Mu’āsir (Beirut).

Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abdul Karim al-Shaybani (d. 630 AH). (1415 AH). *Al-Kamil fi al-Tarikh*, edited by Abdullah Al-Qadi, Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah (Beirut).

Ahmad al-Maknasi (d. 1025 AH). Ibn al-Qadi. (1973). *Jadhwat al-Iqtibas fi Dhikr Man Hall min al-A’lam Madinat Fes*, 2nd edition, Dar al-Mansour for Printing and Publishing (Rabat).

Hamdi Hussein. (n.d.). *Political and Civilizational History in Morocco and Andalusia*.

Haytham Ahmad al-Azzam. (n.d.). *Women in Literary, Media, and Cultural Discourse*, 1st edition, Dar al-Kitab al-Thaqafi.

Ibrahim and Fatima Matarhi Meshrawi. (2020). "The Situation of Sufis during theAlmoravid and Almohad Periods," *Al-Ahyā’ Magazine*, University of Abu Bakr, Faculty of Humanities, Vol. 21, Issue 28 (Tlemcen).

Ismat Abdul Latif Dandash. (1988). *Al-Andalus at the End of the Almoravids and the Beginning of the Almohads: The Second Taifa Period*, 1st edition, Dar al- Gharb al-Islami (Beirut).

DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.

Kanon. (1975). *The Moroccan Genius in Arabic Literature*, 3rd edition, Dar al-Kitab al-Lubnani (Beirut).

Muhammad ibn Abdullah ibn Abi Bakr al-Qudai al-Balansi (d. 658 AH). Ibn al- Abar. (1995). *The Supplement to the Book al-Silah*, edited by Abdul Salam al- Harras, 1st edition, Dar al-Fikr (Lebanon).

Muhammad Zaynīber. (1999). *Morocco in the Medieval Period*, Publications of theFaculty of Arts and Humanities (Rabat).

Tahar Bounabi. (n.d.). *The Phenomenon of Female Sufism in the Central Maghreb during the Medieval Era*, Journal of the Department of History, University of M'sila (Algeria).

Yahya ibn Imran ibn Isa al-Marrakshi Abdul Wahid ibn Ali al-Tamimi (d. 647 AH). Al-Mazani. (1963). *Al-Ma'jib fi Talkhis Akhbar al-Maghrib*, edited by Muhammad Said al-Aryan, 1st edition (Cairo).

 DOI: https://doi.org/10.47831/mjh.v3i1.